## المحاضرة الحادية عشر: بعض المسائل الكلامية " تابع"

### 3-1- مشكلة الخلافة(ج2):

ولكن كيف انتقلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب ﷺ؟ هل بالاختيار أو بالإجماع أم بالتعيين؟ لم يكن الصراع على الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق ﷺ كما كان عليها في الخلافة الأولى، وذلك لان أبابكر الصديق ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى، اختار أبو بكر الصديق ﷺ عمر ابن الخطاب ﷺ كي يستخلفه في الحكم فشاور الصحابة وأهل الحل والعقد في هذا الاختيار ومنهم عبد الرحمان بن عوف، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبد الله، فلم يجد أبو بكر إلا القبول من طرفهم[1]، ثم احضر أبو بكر عثمان بن عفان ليكتب عهد عمر، وأمر أن يقرأ الكتاب بعد ذلك على الناس، فسمعوا وأطاعوا، ثم احضر أبو بكر عمر فقال له: "إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وأوصاه بتقوى الله"[2].

وبذلك كان استخلاف عمر بن الخطاب ﷺ بلغة العصر على شكل استفتاء وليس انتخابا. وبقي في الخلافة عشرة أعوام وأشهرا، ومات بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر سنة ثلاثة وعشرون للهجرة[3]. لكن عندما حضرت عمر الوفاة، وبعد إلحاح من الصحابة على أمير المؤمنين لتعيين من يخلفه، " فلم يدعها شورى خالصة، ولا انتخابية خالصة، بل أوصى لستة نفر من الصحابة ﷺ ليجتمعوا ويختاروا الخليفة من بينهم، ... فاختاروا عثمان بن عفان"[4].

وهؤلاء الستة هم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف ﷺ أجمعين، وهم كما يرى ابن تيمية أنهم من كبار الصحابة ذوي الشوكة والقدرة[5]، وهذا ما أكده ابن حجر العسقلاني عندما قال عنهم: "لم يكن في أهل الإسلام احد من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم"[6]. وهذا ما يلاحظ أن طريقة اختيار الخليفة الثالث تختلف عن اختيار الخليفتين السابقين، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ، فاختيار الخليفة الأول كان عن طريق الانتخاب المباشر من المسلمين فكانت المبايعة الخاصة في سقيفة بني ساعدة، ثم تلتها المبايعة العامة من المسلمين في اليوم الموالي داخل المسجد. أما عمر بن الخطاب فقد كان انتخابه من خلال ما تسمى بطريقة العهد لمن بعده، إذ اختاره أبو بكر وعهد إليه، ثم أخذ البيعة له من

---

[1] الطبري (محمد بن جرير: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ج3، ص ص428-429.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د-ط)، (د-ت)، ص 307.

المسلمين. بينما اختيار الخليفة الثالث، كان من خلال ترشيح عمر بن الخطاب ﷺ لستة من الصحابة، يتفقون على اختيار واحد منهم، ويقدموه لجمهور المسلمين ليبايعوه، وهذا ما حصل، حيث اختار الستة عثمان بن عفانﷺ، ورشحوه هم للعامة فبايعوه[7].

ولكن كتب التاريخ تثبت أن عثمان بن عفان ﷺ كان ضعيف الشخصية، ويحابي أهله وقبيلته الأموية ويعينهم في المناصب العليا للدولة، وفي الأقاليم كولاَّة[8]. ففي عهد عمر بن الخطاب، لم يكن لبني أمية سوى ولاية واحدة، ولقريش ككل ثلاث ولايات، منها ولاية واحدة لبن عدي، المنحدر منها عمر بن الخطاب ﷺ.

وبالمقابل فإنّ بني أمية في عهد عثمان قد استحوذت على سبع ولايات، يضاف لها قبض مروان بن الحكم الأموي على زمام الأمور عندما كان كاتبا لعثمان، أي وزيره الأول[9]، أو رئيس حكومته، ترتب عن هذه السياسة سخط عام على استئثار قريش بالسلطة، سواء كانت ممثلة في الخلافة العامة أو ولاية أمور الناس في الأقاليم. يضاف إلى هذا صعود المنافقين والسفلة للمناصب العليا، وتدخل اليهود في إذكاء نار الفتن، إذ يذكر المقريزي أن عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، هو الذي أثار فتنة عثمان بن عفان ﷺ، حتى قتل. "أي أن ابن سبأ هذا هو الذي دسّ مبادئه الفاسدة، بين المسلمين وأضل البعض منهم، ومازال يؤلب الثوار على عثمان حتى قتلوه، وزعم أصحابه إنما فعل ذلك انتصاراً لعلي، ولحقه في الإمامة"[10].

وبعد رفض عثمان ﷺ مطالب الساخطين الداعين للإصلاح، أو عدم قدرته على الضغط على ولاته، كانت النهاية تراجيدية تمثلت في زحف الثوار من الكوفة، والبصرة، ومصر، واحتلالهم المدينة، وحصار عثمان بن

---

[3] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم3800.

[4] جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، (د–ت)، ج1، ص123

[5] ابن تيمية (أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم) : منهاج السنة، تح: محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1986، ج1، ص533.

[6] ابن حجر العسقلاني (احمد بن علي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبة الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، السعودية، ط1،2001، ج13، ص198.

[7] محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د–ط)، (د–ت)، ص24.

[8] محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص125.

[9] طه حسين: الفتنة الكبرى،، دار المعارف، مصر، (د–ط)، (د–ت) ج1، ص135.

[10] تقي الدين احمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – الخطط المقريزية –، تح: محمد وينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ج3، ص82.

عفان ﷺ ثم قتله[11]. وكان كما يقول ابن تيمية: "لأهل الفتنة بالمدينة شوكة لما قتلوا عثمان، وماج الناس لقتله موجا عظيما"[12].

[11] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص552.

[12] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج1، مكتبة العروبة، القاهرة، مصر، "د-ط"، 1962، ج1،ص535.